عالم المغامرات

(٥)

القبضة الغامضة

تأليف

أشرف السيد العقبى

رسوم

مجدى بكر

جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة لشركة سفير

رقم الإيداع ٥٥٤٩ / ١٩٩٤
الترقيم الدولي: ISBN : 977 - 261 - 330 - 1

مقدمة

كانت وما زالت التسلية الهادفة هى ضالة كل قارئ وناشر ومؤلف جاد، وكذلك كل الجهات الأمينة التى تعمل فى مجال ثقافة الناشئين والشباب، وقد زادت الحاجة إلى الأعمال الساعية إلى تحقيق هذا الهدف الآن أكثر من أى وقت مضى، خاصة وقد بدأت القراءة تحتل مكان الصدارة من جديد فى اهتمامات أبنائنا.

وقد وجدنا أنه لسد الفراغ الموجود فى هذه النوعية التى تهدف إلى الارتقاء بذوق أبنائنا ولغتهم وتنمية ثقافتهم وقيمهم بأسلوب يحترم عقولهم وتفكيرهم ويسمو بخيالهم؛ رأينا أن نقدم هذه السلسلة التى تتسم أحداثها بالمتعة والإثارة فى شكل قصصى جذاب.

فبالرغم من أن جميع الأحداث من نسج الخيال فإن أماكن وقوعها حقيقية، وكذلك ما ورد فيها من معلومات.

وقد راعينا فى هذه السلسلة أن تحمل كل قصة من القصص المقدمة – فى طياتها– قضية أو عدّة قضايا تهم القارئ وتمس حياته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فيشعر أن هناك من يقف بجانبه ويشاركه التفكير فيما يهمه بعيدًا عن أسلوب الوعظ المباشر.

وقد راعينا أيضًا فى هذه السلسلة خروج القصة فى قطع صغير يسهل على القارئ اصطحابها معه فى أى مكان، وكذلك جودة الطباعة وجمال الرسومات المعبرة.

التعريف بالشخصيات

« شريف فهمى » : مهندس زراعى شاب مجتهد، شديد الذكاء، ذو ملامح مصرية، قمحى اللون، رشيق القوام، متوسط الطول، طيب القلب ومتدين، مثقف وطموح ، واسع الاطلاع، فى العقد الثالث من عمره، يجيد الإنجليزية والفرنسية.

« صفوان » : كان أحد أعضاء إحدى المنظمات الدولية التى تعمل فى مجال الجريمة والتهريب، وقد قام « « شريف » » بإنقاذ حياته عدة مرات؛ لذلك أصبح مدينًا له بحياته، وأصبح مساعدًا له فى حل الألغاز التى تواجهه، وقد ترك العمل بالمنظمة وهو الآن يعمل عملاً « شريف »ًا، وهو خبير بكل طرق الإجرام ووسائله، وله قبضة قاتلة وجسم قوى ، وبذلك اجتمع ذكاء « « شريف » » مع قوة « « صفوان » » .

* * *

١ - الحادث

فى إحدى الليالى الممطرة اخترقت إحدى السيارات طريق الغابة... وراح سائقها يتساءل بينه وبين نفسه وهو ينظر إلى حقيبته:

– هل يمكن أن تبدو الحقيبة بهذه الريبة لكل من يراها؟

كانت فى مكانها فوق مقعد سيارته، تبدو مثيرة للريبة، فبعد أن وضع فيها كل ما يملك وقرر مغادرة هذه البلدة– هروبًا بنفسه وأمواله– قرر أن يسلك هذا الطريق الذى تعود عليه، والذى يمر وسط الغابة. كان يعرفه جيدًا، بل كان يحفظه، ولكنه كان يخالجه شعور غريب هذه المرة.

أيًّا كان الأمر فإن هذا الطريق سيوصله إلى الحدود لينتقل إلى بلاد أخرى أكثر أمانًا له.

وراح ينظر مرة أخرى إلى الحقيبة ويقول:

– ترى هل ستثير الحقيبة ريبة من يراها؟ إن مثل هذه الحقائب العامرة بالأموال تنقل انطباعًا غامضًا يثير طمع من يراها، أو على الأقل تثير فى نفسه حب الاستطلاع.. وهذا الإحساس لو انتقل إلى رجال الحدود لكانت كارثة، ولتمت مصادرة كل ما أملك. ثم قال فى نفسه محاولاً تهدئة المخاوف التى سيطرت عليه:

–إن مخاوفى هذه سخيفة ومضحكة.. وإنه ما من أحد له قدرة

ليعرف ما بداخل الحقيبة ، خاصة إذا كانت مع رجل على هذه الدرجة من الأناقة والهيبة، وله معارفه ذوو الرتب العالية فى هذا المكان. والذين رتبوا له مسبقًا خطة هروبه مع أمواله.

كان هواء الليل البارد يتسرب من نافذة السيارة، وبدأت حدة المطر تخف، ولكن الرجل كان يتصبب عرقًا ، وسرت رعشة فى بدنه، وتوترت أعصابه عندما تذكر أن الصحف ربما تنشر صورته إذا ألقى القبض عليه نتيجة أى خلل فى الخطة.. فعندئذٍ سيكون قد فقد كل شىء: ماله وعمله الذى أنهاه، وربما حياته بعد أن يعرف مكانه بالضبط.

حاول الابتسام وقال فى نفسه:

– ولكن عندئذٍ قد يكون السجن حماية لى من الموت المحدق بى بسبب تلك التهديدات التى وصلت إلىَّ أخيرًا والتى تنذر بالموت جزاء ما اقترفت فى حق غيرى.

وراحت السيارة تقطع الطريق الضيق بسرعة كبيرة فأراد أن يهدئ من سرعتها قليلاً، ولكن قدمه لم تطاوعه.. كان يعرف أنه لا يزال أمامه وقت طويل حتى يصل إلى نهاية طريق الغابة؛ فقرر زيادة السرعة بدل تهدئتها.ولكن فجأة.. ظهر أمامه شبح غريب فتوترت يداه شيئًا ما على عجلة القيادة، ولم يستطع فى بادئ الأمر أن يرى بوضوح ما يدور فى الخارج بسبب الظلام، وبسبب قطرات المطر التى تجمعت

على زجاج سيارته.

وقال فى نفسه:

– ترى ما الذى أخرج ذلك الشىء فى تلك الليلة الممطرة؟

حاول بكل جهده إيقاف السيارة، فضغط على الفرامل بشدة ، واندفع إلى الأمام محدودب الظهر على عجلة القيادة، ولكن الوقت كان قد فات.

فقد بدا له أن رفرف السيارة صدم هذا الشىء وطوح به ودحرجه بعيدًا إلى الأمام.. والأمر المروع أن السيارة لم تقف.. وبدا كأن عقله توقف عن التفكير فى تلك اللحظة الحرجة، ولم يستطع أن يرسل إلى قدمه اليمنى الإشارة الكفيلة برفع قدمه من فوق دواسة البنزين ونقلها لتدوس على دواسة الفرامل ؛ لأن السيارة ظلت منطلقة إلى الأمام.. ولم تلبث أن تلقت ذلك الشىء الذى سبق أن طوحت به ومرت فوقه هذه المرة.

وارتجت السيارة رجة عنيفة عندما اعتلت الضحية، ثم اندفعت إلى الأمام وراحت تتابع طريقها وكأن ذلك الشىء– الذى كان يبدو كجسد آدمى ومرت فوقه منذ لحظة وكان ينبض بالحياة منذ قليل– لا يعنى شيئًا.

إنها مجرد آلة سيارة مكونة من المعدن والمطاط والزجاج، وكان

على الرجل أن يتمالك نفسه فى هذا الموقف العصيب فإن هذا الشىء الذى تكوم هناك خلفه كان مخلوقًا من دم ولحم.

ووجدت قدمه الفرامل أخيرًا ، فداس عليها ، واهتزت العربة تحت الضغط المفاجئ وحاولت أن تفلت منه، واندفعت يمينًا ثم يسارًا وسط الطريق ، وزاد الرجل من ضغطه على الفرملة ويداه تقبض بشدة على عجلة القيادة كما لو كان يمسك عنان جواد.

وانتفضت مؤخرة العربة قبل التوقف وأحدثت عجلاتها صريرًا قويًّا فوق الأسفلت ثم توقفت أخيرًا.

وبقى الرجل جالسًا مكانه متوترًا لا يستطيع رفع يده عن عجلة القيادة وقد فقد كل إحساس لديه.

ومر بعض الوقت قبل أن يتمكن من الاسترخاء واستعادة توازنه وهدوئه، فقد كان ذهنه فارغًا تمامًا وقد تجمد منه كل إحساس.

وانقضى الوقت ولم يعد إليه الوعى إلا ببطء، وبحثت يده اليسرى عن مقبض الباب، وأداره ودفع الباب إلى الخارج وأخرج قدمه اليسرى وخرج من السيارة الساكنة وظل واقفًا بعض الوقت بدون غرض أو غاية.

خيم صمت كئيب على المكان بعد أن قطعت ضجة الصدمة العنيفة الأصوات كلها، فلا صوت لحشرات أو طيور أو حيوانات.. وبقى الرجل واقفًا وحده فى استغراب شديد وهو يقول فى نفسه:

– ما الذى صدمته ؟ لابد أن أعرف؟

لكن الحيرة جمدته عن الحركة لحظة طويلة.. مهما يكن وأيًّا كان فإن الشيء الذى اصطدم به موجود خلفه هناك على بعد ثلاثين مترًا أو أبعد قليلا.. هناك حيث يمتد الطريق فى عمق الليل.

ووجد نفسه يمشى على الأرض، ولم يلبث أن ابتعد عن نور المصباحين الخلفيين فابتلعه الظلام.. لم تكن الليلة مقمرة، ولم يكن بالسماء غير نجوم متعددة تشع ما يكفى من الضوء لكى تبين السماء والأرض حتى اقترب من ذلك الشيء.. خيل إليه أنه يرى ساقين. أما بقية الجسم فكان يختفى بين الأعشاب.

– يا إلهى ! لقد قتلت إنسانًا.

وجد نفسه عاجزًا عن الاقتراب خطوة أخرى على الرغم من أنه ود لو يفعل، ولكن لا حركة ولا حياة ، فقال:

– هل أنت على قيد الحياة؟

وحطمت رنة صوته والكلمات نفسها الصمت المطبق حوله وجعله يرتعش، ولم يأته رد ولا حركة؛ لأنه لم يكن فى تلك الجثة الملقاة على الأرض أى حياة .

وعاد راكضًا إلى سيارته.. التى بدت كجزيرة مألوفة من النور والأمان وسط الظلام.

وراح يسأل نفسه:

– ما الذى أتى بهذا الإنسان إلى هذا المكان؟ وفى تلك الساعة؟ وفى هذا الجو؟

وقبل أن يقفز داخل سيارته صدمته مفاجأة أخرى.. عجلة السيارة الأمامية فرغت من هوائها .. ربما بسبب ثقب حدث فيها. وعندما توجه لتغيير ذلك الإطار عاجلته قبضة كبيرة بضربة قوية فوق رأسه، جعلته يسقط من قوتها فاقد الوعى، وهوى صاحب تلك القبضة على رأسه عدة مرات بضربات قوية أفقدته الحياة.

ثم توجه إلى المقعد الأمامى وأخذ الحقيبة المملوءة بالنقود واختفى وسط الغابة، بعد أن حمل معه الدمية التى خدع بها الرجل.

وتكررت الحوادث.

وكان الصديقان «شريف» و«صفوان» من إحدى البعثات التى تدرس إمكانية تحويل إحدى المناطق القريبة من تلك الغابة إلى محمية طبيعية للحفاظ على بعض الأنواع النادرة من الحيوانات، والتى أوشك الصيد الجائر أن يجتثها نهائيًّا من فوق خريطة الحياة، وبذلك تختفى إلى الأبد.

قال «صفوان» وهو يقلب صفحات الجريدة اليومية:

– ما رأيك يا «شريف» فى تلك الحوادث الغامضة التى وقعت فى

الفترة الماضية؟

– تقصد التى وقعت فى طريق الغابة؟

– بالطبع .. خاصة أن هذا المكان يقع ضمن المناطق المحتمل أن تشملها المحمية.

قال «شريف» :

– فى الحقيقة يا صديقى الأمر غامض إلى درجة كبيرة.. فجميع الحوادث تمت بصورة واحدة تقريبًا، والأشخاص لا تربطهم ببعضهم أى علاقة.

– إذن هذا يدل على أن الفاعل له هدف واحد، وهو قطع الطريق وسرقة العابرين له.

– هذا ليس صحيحًا تمامًا يا «صفوان»؛ فقاطع الطريق لا يضطر إلى القتل إلا فى حالات خاصة .. فهو يكتفى بالسطو علي الأموال والأشياء الثمينة. بالإضافة إلى..

ولكن «صفوان» قاطعه قائلاً :

– فلماذا لا يكون سارقًا وقاتلاً فى حالتنا هذه؟

ابتسم «شريف» وقال :

– دعنى أكمل يا صديقى.

– آسف على مقاطعتك يا« شريف » .

أكمل « شريف » قائلاً :

– اقتران تلك الحوادث بالسرقة لم يكن فى كل الحوادث . كما ذكرت الصحف أن فى الحوادث الثلاث الأخيرة وجدت أشياء المجنى عليهم كلها سليمة، وقد أكد لى صديقى ضابط الشرطة المرافق للبعثة أنه كانت مع الضحايا أشياء ثمينة ولم تُسرق، بالرغم من العبث الذى حدث فى محتويات السيارة .

قال « صفوان » :

– إذا كان القاتل يقتل أشخاصًا لا يعرفهم، وليس هناك دافع للسرقة . إذن هو قاتل مجنون بلا شك ... ولكن لماذا لم تحاصر الشرطة تلك المنطقة لتوقع بذلك السفاح؟

– إن المنطقة واسعة جدًّا .. وقد قاموا بتفتيش دقيق كما علمت، ولم يجدوا إلا بعض الآثار التى لم توصلهم حتى الآن إلى حل هذا اللغز .. خاصة أن تلك المنطقة لا يسكن فيها أحد .

كان الصديقان قد أكملا ارتداء ملابسهما وهمَّا بالخروج لمواصلة المهمة التى حضرا من أجلها ضمن البعثة .

واستقلا السيارة التى كانت تنتظرهما بالخارج، وفى أثناء الطريق قال سائق سيارتهما :

– هل سنكمل العمل فى منطقة الأمس يا سيد « شريف »؟

– بل سننتقل إلى المنطقة الجنوبية.

– إذن سأوصلكما إليها بسرعة بعد أن نسلك طريقًا مختصرًا.

– أين هذا الطريق؟

– إنه أحد المدقات المتفرعة من طريق الغابة.

سرت رعشة فى جسد « صفوان » وقال:

– طريق الغابة؟ إنه طريق الحوادث!

ضحك السائق وقال:

– نعم يا سيدى ولا تخش شيئًا، فأنا أعرف ذلك الطريق جيدًا.

قال « صفوان » مازحًا:

– أنا لا أخشى شيئًا . إنما كنت أخشى عليك أنت.

ضحك « شريف » والسائق، واستمرت السيارة فى طريقها، وقبل أن تصل السيارة التى تحمل شعار « بعثة المحمية » إلى مفترق الطريق الذى سيسلكونه. كانت تقف هناك إحدى سيارات الشرط وسيارة إسعاف، وقد التف رجال الشرطة ورجال الإسعاف وبعض الرجال المدنيين حول إحدى السيارات يفحصونها.

فوقف السائق عندما أشار إليه ضابط الشرطة. قال « شريف » موجهًا حديثه إلى الضابط:

– ماذا حدث يا سيدى؟

قال الضابط:

– حادث آخر.. استخدم فيه القاتل جذعًا ضخمًا ليجبر السائق على التوقف.

نزل « شريف » و« صفوان » من السيارة واقتربا من مكان الحادث فشاهدا الضابط المرافق لبعثة المحمية يقف يفحص السيارة مع رجال المعمل الجنائى فاقتربا منه وسألاه:

– هل هذا الحادث مشابه للحوادث السابقة؟

– بالضبط يا سيد « شريف ».. فالطبيب يقول إن الوفاة نتيجة ضربة شديدة على الرأس.

– وهل اقترن الحادث بالسرقة هذه المرة؟

قال الضابط:

–لا.

– هل تسمح لى بالنظر فى السيارة؟

– تفضل يا سيد « شريف ».. ولكن حذار أن تلمس أى شىء.

اقترب « شريف » بحذر من السيارة حيث رجال المعمل الجنائى يرفعون بعض الآثار ، ونظر إلى داخلها نظرة سريعة؛ فلاحظ شيئًا لفت انتباهه، ونظر خلفه بين بعض أشجار اغابة فتأكدت ظنونه . . وسار بعض خطوات وسط الأشجار الواقعة على جانبى طريق الغابة، ثم مال على الأرض وقد ملأته الدهشة، ثم نظر إلى أعلى شدوهًا، ودوَّن ملاحظاته تلك فى مفكرة صغيرة فى جيبه، وأثناء ذلك أزاح الرجال الجذع من الطريق.

وبعد أن أنهى رجال الشرطة عملهم سمح لسيارة البعثة بمواصلة الطريق.

قال « صفوان » محدثًا « شريفًا » الذى بدا شاردًا :

– أراك شاردًا يا « شريف »، هل وجدت شيئًا أثار انتباهك فى تلك الحادثة؟

– ليس شيئًا واحدًا يا صديقى بل أشياء متعددة، أهمها أن القاتل شخص طويل القامة قوى البنية فقد التصقت خصلة من شعره فى أحد فروع الأشجار عند هروبه . . أما آثار قدمه فتدل على ضخامته.

قال « صفوان » :

– إنك تصف عملاقًا يا « شريف » وليس إنسانًا عاديًّا.

– نعم يا « صفوان »، إنسان عجيب، يقتل لا ليسرق.

– إذن لماذا يقتل؟

قال « شريف » مفجرًا مفاجأة.

– إنه يقتل ليأكل.

ضحك « صفوان » وقال:

– لقد أخطأت يا صديقى، لقد سرق من قبل..

– هذا ما يحيرنى يا « صفوان ».. ولكنى لاحظت عدة أشياء قد تؤدى إلى معرفة هذا القاتل الأعزل.

– ماذا تقصد بالأعزل يا « شريف »؟

– إنه يقتل بدون آلة.. يقتل باستعمال قبضة يده فقط.

ثم نظر إلى السائق وقال:

– دعنا نعد مرة أخرى إلى مكان الحادث بعد الانتهاء من عملنا.

* * *

٢ - المنزل الغامض

وعند الغروب عاد الصديقان إلى موقع الحادث وأضاء « شريف » كشافه ثم ترجلا وتوغلا بين أشجار الغابة.

كانت الغابة معتمة وباردة ومبتلة بعد هطول الأمطار الأخيرة وأحس الصديقان بالرطوبة على وجهيهما وعلى أيديهما.

كانت الغابة كثيفة ومتشابكة الأشجار، والصديقان يتوغلان فيها ويزيحان الأغصان التى تعترض طريقهما فى قوة وإصرار. كان « شريف » يبحث عن شيء لا يعرف مكانه.. ولكنه كان يظن أن ما يبحث عنه موجود لا محالة وبالقرب من هذا المكان، أو على الأقل فى منطقة قريبة.

سأله « صفوان »:

– عن أى شيء تبحث يا « شريف »؟!

– عن بيت القاتل.

– وهل تعتقد أنه موجود حقًّا؟

– إن شاء الله ، وأعتقد أنه فى مكان مختفٍ هنا أو هناك.

وبعد أن سارا نحو نصف ساعة توقف « شريف » ، وقال لصديقه:

– أعتقد أننا قد اقتربنا يا «صفوان» مما نبحث عنه، فالأغصان فى هذا المكان محطمة.. لابد أن أحدهم سلك هذا الطريق.

قال «صفوان» :

– وهل نحن أول من سلك هذا الطريق؟ لا بد أن أحدهم كان يصطاد بالغابة وسار هنا قبلنا.

– لا يا صديقى، إن الذى سلك هذا الطريق ليس سائحًا أو صيادًا.

– ومن يكون إذن ؟

– إنه القاتل.

– وكيف عرفت؟

– انظر..

وأمسك «شريف» فى يده قطعة من فتات الطعام كانت واقعة على الأرض، وقال:

– إنه نفس الطعام الذى كان مع صاحب السيارة التى تعرضت لحادث الأمس واكتشفوها فى الصباح.. كن حذرًا يا «صفوان».

وبعد قليل قال «صفوان» وهو ينظر ويشير إلى «شريف»:

– انظر هناك يا «شريف»، إنه منزل مختفٍ بين الأشجار، إنه ما

تبحث عنه.

اقترب الصديقان بحذر نحو المنزل وكان مصنوعًا من أخشاب الغابة بدقة وعناية كبيرة.. وكان حجمه متوسطًا، كان الباب مفتوحًا ولا أثر لأحد.

قال «شريف»:

– لا بد أنه منزل قديم مهجور يتخذ منه القاتل مأوى له.

وجه «شريف» ضوء كشافه إلى الداخل فلم ير شيئًا، غير أنه اشتم رائحة غريبة.. فى حين أمسك «صفوان» بفرع شجرة غليظة تحسبًا لأية مفاجأة.

وفى الداخل كان المنزل مغطى بالسواد.. وجه «شريف» كشافه إلى الجدران فلم يجد بها إلا نوافذ عالية، عليها قضبان حديدية أشبه بالسجن.. وبعض الكلمات مكتوبة على الحائط بخط كبير، وأشياء متناثرة هنا وهناك ألقى إليها «شريف» نظرة سريعة.. وعندما اقترب «شريف» من الجدار لاحظ شيئًا أسود متدليًا على الجدران. فاقترب منه فى فضول، وعندما نظر إليه هو وصديقه شهق «صفوان» وقال:

– ماهذا؟! قال «شريف»:

– إنها يد عملاقة مقطوعة ومربوطة فى سلسلة.

لم تكن يدًا بيضاء لهيكل عظمى بل يد سوداء متيبسة. لها

أظافر سوداء وعليها آثار دم قديم بدا كشيء قذر عند العظم المبتور الذى بدا بتره كما لو كان ناجمًا من ضربة فأس بعد الرسغ بقليل، وحول الرسغ نفسه سلسلة حديد ضخمة تربطها للحائط حلقة متينة يعجز عن خلعها الفيل نفسه.

قال « شريف » :

– إن هذة اليد العملاقة لكائن ضخم وقد علقت هنا بعد أن نزع جلدها، وجففت فى الشمس.

صمت « صفوان » لحظة لأنه لم يفهم ما ترمى إليه كلمات صديقه، ثم قال:

– إن قطعها بهذه الطريقة يوحى بفظاعة فاعلها وقسوته، وإن كان صاحبها حيًّا فلابد أنه يحمل رغبة جامحة فى الانتقام ممن قطعها.

قال « شريف » وهو يدير مصباحه فى المكان :

– انظر.. إنها مجموعة من المسدسات موضوعة فى أماكن متفرقة من الغرفة، مما يدل على أن صاحب هذا المنزل يعيش فى خوف دائم من أى هجوم مفاجئ.

قال « صفوان » :

– نعم ، حتى إن المنزل أشبه بالسجن .. نوافذه عالية وعليها قضبان حديدية.

قال « شريف » مازحًا :

– إنه يذكرنى بقفص القرود . . لابد أن الذى بنى هذا المنزل أو من صممه كان يعمل بحديقة حيوان .

صمت « شريف » لحظة وكأنه تذكر شيئًا، وقال :

– ألا تتذكر أن أول رجل قتل على طريق الغابة كان يملك سيركًا؟

قال « صفوان » :

– نعم ، إنها ملحوظة مهمة قد تقودنا إلى شىء . . فربما كان هناك علاقة ما تربط بينهما .

وفجأة . . حدث صوت شديد ناتج عن إغلاق الباب خلفهما . . أصيب الصديقان بالخوف وتوجها إلى الباب وحاولا فتحه فلم يتمكنا .

قال « شريف » :

– ترى هل أغلقه الهواء أم أننا وقعنا فى شرك؟

قال « صفوان » :

– إنه لشىء يبعث على الرعب . . والآن ماذا نحن فاعلان؟

– سنحاول الخروج بأى طريقة .

– كيف ؟

– سنرى . . ابحث معى عن موقد لنشعله ونرى ما حولنا . . فربما نستطيع الخروج .

وبعد عدة جولات داخل المنزل لم يجدا خلالها أى منفذ ولاموقد ، قال « شريف » :

– لا يوجد غير حل واحد . . إن معى فى حقيبتى عددًا من المناشير الصغيرة كنت أستعملها بالأمس .

قال « صفوان » متعجبًا :

– تقصد المناشير الصغيرة التى كنا نصنع بها الهدايا التذكارية ؟

– نعم بالضبط .

– وهل ستصلح ؟

– بالصبر يا صديقى تبلغ ما تريد .

فأكمل « صفوان » :

– نعم ، وبالتقوى يلين لك الحديد .

– فليكن هذا شعارنا ، هيا نبدأ العمل مستعينين بالله .

وقف « صفوان » على أطراف قدميه فوق منضدة بجوار أحد الجدران الذى به نافذة ذات قضبان حديدية ، وبدأ العمل .

وكانت المناشير لا تفتأ تلتوى بين لحظة وأخرى، ولكن كان عليه أن يمسك السلاح بطريقة خاصة وأن ينشر الحديد فى مثابرة واجتهاد.

نظر « شريف » إلى صديقه وقال بعد أن رأى أن أصابعه بدأ الدم يسيل منها على ذراعه من احتكاكها بالخشب والحديد:

– دعنى أساعدك يا صديقى.. فقد جرحت.

– لا عليك يا « شريف »، لا بد من إكمال العمل بإذن الله.

وعندما فرغ « صفوان » من نشر القضيب الأول كانت أربعة منها قد انكسرت وتلمت أسنانها، ولم يتبق معه إلا اثنان فقط لكنه كان قد تمرن بما فيه الكفاية.. وأدرك أنه لو استخدم المنشارين الباقيين كما يجب فسيتمكن بإذن الله من نشر القضيب الثانى.

وعندما انكسر المنشار السادس والأخير كانت قوى « صفوان » قد بدأت تخور.

وتحسست أصابعه المرتعشة قاعدة القضيب الثانى ورأى أنه قد نشره كله تقريبًا فيما عدا بعض المليمترات، وأنه لن يلبث أن ينكسر تحت ضغط يده.

وبعد هذا الجهد الشاق .. هبط « صفوان » من فوق المنضدة وماكاد يفعل حتى وقع على الأرض وبقى لحظة لا يستطيع حراكًا وكانت رأسه قد ارتطمت بالجدار فآلمته كل الألم، وأصيب بجروح

فوق أذنه اليسرى وراح الدم يسيل منه.

عاونه « شريف » وهو يضع منديله على الجرح قائلا :

– لقد قمت بعمل عظيم يا « صفوان » .

– غير أنى أحتاج إلى بعض الراحة قبل أن أتمكن من النهوض يا صديقى.

– لقد وقفت على أطراف أصابعك زهاء ثلاث ساعات.. استرح حتى أقوم بخلع هذين القضيبين المنشورين.

حاول « شريف » تكملة العمل فصعد فوق المنضدة ومد يده لخلع القضيبين فوصل إليهما بالكد؛ ولكن لم يستطع خلع القضيبين من إطارهما الخشبى.

واهتدى « شريف » إلى فكرة يستطيع بها إنجاز هذا العمل ، فقد استخدم أحد رءوس المناشير كما لو كان مفكًّا وفك به إحدى أرجل المنضدة، وكانت من الخشب المتين.

هنا قام « صفوان » وكان قد استرد بعض قوته وقال « لشريف » :

– الآن قف فوق كتفى لتصل إلى مسافة أعلى .

صعد « شريف » فوق كتف زميله واستخدم رجل المقعد كما لو كانت عتلة.

كان الوقت متأخرًا وليس هناك بالخارج غير أصوات الصراصير والناموس ، بالإضافة إلى صوت القضبان وهى تتحرك من مكانها تحت ضغط « شريف » محاولا التخلص من إطارها الخشبى .

وأخيرًا لانت القضبان، وبعد جهد شاق نزل « شريف » وأسند ظهره إلى الحائط بعد أن استجابت له القضبان وخرجت من إطارها وسط وابل من الخشب الفاسد وجيش من السوس .

وراح الصديقان يتنفسان فى ارتياح .

قال « شريف » :

– ولكن هل تعتقد يا « صفوان » أن تلك الفتحة سوف تكفى للخروج ؟

– ربما بصعوبة شديدة بالنسبة إلى . أما أنت فسيكون الأمر أكثر سهولة لنحافة جسمك .

حمل « صفوان » « شريفًا » مرة أخرى لكى يتمكن من الخروج من تلك الفتحة الضيقة .

وغالب « شريف » نفسه حتى لا يصرخ وهو يمر من القضبان الحادة التى مزقت ملابسه وصدره وهو يتلوى لكى يخرج من النافذة . وسقط وسط العشب المبتل، وحاول أن يسترد أنفاسه وهو يتألم، وكان قميصه قد انشق عن صدره وأصيب بجروح مستطيلة فى صدره وفى

بطنه.

نهض « شريف » وربط طرفى قميصه الممزق بعضهما ببعض، ودار حول المنزل فى هدوء حتى وصل إلى الباب. وكم كانت المفاجأة عندما وجب الباب مغلقًا عليهما من الخارج بواسطة قطعة خشبيه ضخمة بين فكى حديدتين قويتين، أزاح « شريف » القطعة الخشبية وأخرج « صفوان » ، ولكن فى تلك الحظة .. سمع « شريف » حركة من الأعشاب فقال:

– إن هناك شخصًا ما هنا. ربما هو الذى أغلق علينا الباب .

قال « صفوان » :

– وربما كان مسلحًا ونحن عُزْل.

– ليست تلك هى القضية .. إنما أغلب الظن أنه هو القاتل ذو القبضة الغامضة.

اتسعت عينا « صفوان » وقال:

– سأواجهه يا « شريف ».

– لا ، ليس الآن.. إنما سنواجهه فيما بعد عندما نستعد له فلن نستطيع التغلب عليه ونحن على هذه الحالة من الإرهاق.

– وهل هو بهذا القدر من القوة؟

– نعم يا « صفوان » لقد تجمع عندنا الآن الكثير من الأدلة والمعلومات التى تشير إلى قوته . . إنه بقوة عشرة من الرجال .

والآن اركض بكل ما أوتيت من القوة، إن طريق العودة ماثل فى ذهنى الآن ، وقد نضطر إلى تغييره قليلاً .

وأخذ الصديقان يعدوان على العشب المبتل، فى حين كان ذلك القاتل يطاردهما .

وظل الصديقان يعدوان حتى وصلا إلى طريق يمتد بطول بعض المستنقعات فى الغابة فاجتازا الطريق حتى وصلا إلى منطقة تكثر فيها النباتات العالية، وظلا يعدوان والقاتل فى أثرهما حتى بلغا المستنقع أخيرًا .

قال « شريف » وهو ينظر إلى السماء :

– هذه هى مجموعة النجوم المسماه بالدب الكبير والنجم القطبى، وهما يشيران إلى الشمال ، وسوف نهتدى بهما .

قال « صفوان » :

– ها هى معلوماتك فى الفلك فقد أفادتنا يا « شريف » .

– أجل يا « صفوان » ، فلاغنى عن العلم فى حياتنا . . فهو الطريق الأمثل لحل كل مشاكلنا .

واستمر الصديقان فى العدو نحو الجنوب وهو الاتجاه الذى سيؤدى إلى خروجهما من الغابة.

أشار «شريف» إلى «صفوان» أن يتوقف قليلا وأخذ يسترق السمع ليعرف ما إذا كان غريمهما فى أثرهما أم لا.

فلم يسمع شيئًا، قال ل«صفوان»:

لا بد أنه كف عن ملاحقتنا، ولكن لاسبيل أمامنا الآن غير مواصلة السير نحو الجنوب فربما كان مختبئًا فى الطريق الذى قدمنا منه.

وانتقلا من الركض إلى المشى بسرعة، واستمرا على هذه الحالة حتى بلغا مكانًا استطاعا منه رؤية بعض أشجار السرو التى ترتفع نحو السماء.

قال «صفوان»:

– أليس هذا هو المستنقع الموجود على خرائطنا؟

– بلى إنه هو.

– إننى أتذكر أنى رأيت بالقرب من شاطئه الآخر منزل حارس الغابة.

– هذا ما أظنه أيضًا يا «صفوان».

– ولكن أتذكر شيئًا آخر يا « شريف » .

ابتسم « شريف » وقال :

– تقصد التماسيح ؟

– بالطبع ، إنها تعيش هنا ومرسومة على الخرائط .

قال « شريف » :

– لو كانت التماسيح هنا ما كنا نحن الآن هنا فى هذه البلاد .

– ماذا تقصد ؟

– بالفعل كان هنا مئات من التماسيح . . هذا صحيح ؛ لأن هذه المنطقة مناسبة لها . . ولكنها الآن غير موجودة أو عددها تناقص بشكل كبير حتى كادت تنقرض .

– فهمت . . تقصد أن تجار الجلود قد قضوا عليها ؟

– تقريبًا يا « صفوان » حتى أوشكت على الاختفاء نهائيًّا من هذه المنطقة ، وظهرت فى الأسواق على هيئة مصنوعات جلدية يتزين بها الناس . . ومهمتنا نحن فى هذه البعثة كما تعلم هى تحديد مناطق يمنع فيها الصيد لحماية تلك الحيوانات من الفناء .

وبعد قليل من الوقت قال « صفوان » وهو ينظر بعيدًا :

– انظر يا « شريف » هناك على سطح الماء . . .

– أين ؟

– هناك عند أشجار السرو . . إنه قارب مختفٍ بين الأعشاب .

– نعم يا « صفوان » ، إنه قارب .

تهلل وجه الصديقين وقررا الاستعانة به فى عبور ذلك المستنقع الخطر .

ولكى يصلا إلى القارب تغلغلا فى المستنقع بهدوء .

قال « شريف » :

– تقدم يا « صفوان » . . لا تخف .

وفى هذه اللحظة انطلق صوت التماسيح الخشن فشق سكون الليل ؛ فقال « صفوان » :

– هل سمعت يا « شريف » ؟ إن بعضها ما زال موجوداً وهو قريب جداً من هنا .

– سنصل بإذن الله إلى القارب ونعبر فى سلام .

وبينما كانا يسيران فى طين المستنقع راحت الأعشاب الخشنة ترتطم بساقيهما وهجم الناموس عليهما هجمات غاضبة . . وهما يشقان طريقهما وسط الطين والماء وأيديهما تزيح الأعشاب بعيداً عن وجهيهما .

ثم قربا القارب حتى كادا يصلان إليه .. وفى تلك اللحظة .. تعثرت قدم « صفوان » فى النبات المتمدد فوق سطح الماء، فوقع وزحف فى الطين والأعشاب وأطلق صيحة فى نفس الوقت الذى مس فيه ذراعه شيء لزج منتفخ؛ فارتسمت فى ذهنه فى تلك اللحظة صورة الأفاعى السامة والحيات والتماسيح المفترسة وثعابين الماء والعلقات مصاصة الدماء.. وارتفعت صيحات التماسيح الخشنة فى جوف الليل فانتفض وساعده « شريف » على النهوض قائلا :

– ها نحن قد وصلنا إلى القارب يا « صفوان » .

قال « صفوان » :

– أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لقد هيأ لى أشياء مخيفة عندما لمست ذراعى إحدى الضفادع الكبيرة .

وصعد الصديقان إلى القارب الذى كان مربوطًا فى شبكة من جذور السرو متشابكة فوق الماء الأسود .

أخذ « شريف » يفك حبل القارب وهو يقول :

– لا بد أنه قارب حارس الغابة الذى يستعين به فى عبور المستنقع كلما أراد .

قال « صفوان » :

– فما الذى أتى به هنا ومنزله على الشاطئ الآخر؟

رد « شريف » قائلا :

– ربما استعان به أحد زملائه فى العبور إلى هذا الجانب .

وراح « صفوان » يجدف . . قال له « شريف » :

– جدف فى اتجاه مجرى النهر إلى أن يظهر أى شىء يدلنا على منزل حارس الغابة .

وبعد حوالى نصف ساعة رأى « شريف » من بعيد فانوسين لهما ضوء أصفر، يضيئان معًا على اليسار .

قال « شريف » :

– أعتقد أن بيت الحارس على مقربة من هذين الفانوسين .

لم يسمعه « صفوان » فقد بدأ يحس بالضعف والإرهاق، وكذلك « شريف » الجريح .

بدأ « شريف » يحس بآلام الجروح التى فى صدره وبطنه، والتى حدثت له أثناء خروجه من بين القضبان المسننة الحادة، وآلمته الجروح كما لو كان قد مسته أسياخ محمية من الحديد . . ولكن لم يكن أمامهما حيلة إلا أن يتبادلا التجديف حتى يصلا إلى مكان يستطيعان منه العودة إلى مقر البعثة . . واندفعا بالزورق إلى حيث يضيق النهر حتى راحت المزروعات (النباتات المائية)ترتطم بكتفيهما . ألقى « صفوان » بالمجدافين بجانبه فى حين راح الزورق ينزلق فى طريقه بفعل

تيار الماء، وعندما أرغم نفسه على التجديف ثانية كان المجدافان يضربان الماء بضعف شديد ... وفى تلك اللحظة ضرب تمساح الماء بذيله وانطلق بعيدًا فأفاق الصديقان ودب فيهما النشاط من جديد.. قال « صفوان » :

– إن تلك المخلوقات تجيد التخفى ، فهى تعوم بجنبنا ولا نراها.

قال « شريف » :

– إن التمساح له عينان علويتان تبقيان فوق الماء مع أنفه ويكون باقى جسده تحت الماء ، وبذلك يستطيع مفاجأة ضحيته.

– والآن دعنى أجدف مكانك لتستريح قليلاً.

وراح « شريف » يجدف فى مياه مليئة بزهور الزمبق.

أحس « صفوان » بلدغات شديدة على جلده، فعرف أن تلك البقع السوداء التى على صدره وذراعه وساقيه ليست فقط من آثار وقوعه فى المستنقع، ولكن هى أيضًا علقات مصاصة الدماء ، وحاول نزعها، ولكن « شريف » قال له:

– لا يجب انتزاع العلقات الصغيرة المتعطشة للدماء؛ لأنها لن تزيد إلا تشبثًا وتعلقًا ولابد من الانتظار حتى نستطيع إحراقها بجذوة نار صغيرة.

أما الناموس فقد كان أكثر وبالا، فقد اجتذبته رائحة الدم الذى كان

يغرق جسد « شريف »؛ فاندفع فى جيوش جرارة وحط على يديه ووجهه وعنقه وصدره.

وعرف « شريف » أنه من المحال طردها فلم يكن يكفى أن يتحرك لكى يتخلص منها، وإنما كان عليه أن ينتزعها انتزاعًا.

وكان حال الصديقين قد وصل إلى حالة يرثى لها فى تلك الليلة المظلمة، فتوقف « شريف » عن التجديف وراح يضرب جسده بكفيه ليتخلص من ذلك الناموس العنيد. وجدف مرة أخرى، وراح القارب يسير بين ستائر الطحالب والأشجار المحملة بثمار كالليمون وكل ثمرة منها كبيرة كالكرة ولها شوكة كبيرة طولها نحو سنتيمترين.

بدا على « صفوان » الضجر والتعب مما أصابه فى تلك الليلة فقال له « شريف » مشجعًا:

– اصبر يا « صفوان » ، إن الأعمال الصعبة لا يقوم بها إلا رجال صابرون أقوياء.

واقترب الصديقان من الفانوسين فتوجها إليهما ودخلا بالزورق فى الطين خلال ضباب كثيف حيث تجمعت الأعشاب المتشابكة وبيوت العنكبوت.

وخرج الصديقان من الزورق، واضطرا أن يغوصا حتى ركبتيهما فى الطين حتى يبلغا الأرض الثابتة. وشقا لأنفسهما طريقًا بشق

الأنفس خلال الأشجار التى يخيم عليها الصمت المطبق.. واهتديا إلى الطريق الذى يؤدى إلى بيت حارس الغابة، وبعد أن قطعا مئات الأمتار رأى الصديقان البيت أمامهما ، وطرق « شريف » الباب فانفتح وصدم عينيه الضوء الباهر القادم من داخل المنزل.. وخرج شخص طويل القامة قوى الجسم هو حارس الغابة.

وما كاد الحارس يراهما حتى رماهما بنظرة كلها دهشة، قال له « شريف » :

– السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رد الرجل السلام وقال :

– من أنتما؟!

–نحن أعضاء بعثة المحمية.

رحَّب بهما الرجل فى أدب وقال :

– تفضلا .. أرى أنكما لستما على ما يرام.. ما الذى أتى بكما إلى الأطراف الجنوبية للغابة فى ذلك الوقت المتأخر ، هل ضللتما الطريق؟

قال « صفوان » وهو يستند بيده إلى الأريكة فى حين كان وجهه متورمًا وعضلاته ترتجف الواحدة تلو الأخرى :

– سوف نقص عليك ما حدث فيما بعد.. الآن نريد بعض الراحة بعد حمام ننظف به أجسامنا الموحلة.

وكان لهما ما أرادا.

٣ - معلومات جديدة

جلس الصديقان مع حارس الغابة ، أخذ كل منهما يتناول قدحًا من الشاى الساخن.

كان « صفوان » يرتعش من البرد، و« شريف » يمسك كوب الشاى بكلتا يديه، فوجه حديثه إلى صاحب المكان :

– شكرًا لك على حسن ضيافتك لنا.

رد الرجل:

– الشكر لله يا سيد « شريف » .. والآن هلا أخبرتمانى بما حدث لكما؟

– لا شىء .. كل ما هنالك أننا كنا نبحث عن القاتل الذى ارتكب كل الحوادث على طريق الغابة.

قال الرجل وقد لمعت عيناه:

– وهل وجدتما شيئًا ذا قيمة؟

– جمعنا بعض المعلومات التى قد تفيدنا فى التعرف عليه .

– لا أخفيكما سرًّا إذا قلت إن ذلك القاتل الطليق قد أشاع الرعب فى هذه المنطقة.. إنه قاتل ذو قوة غير عادية.

نظر الصديقان بعضهما إلى البعض.. وقال « صفوان » :

– هل تقصد بسبب قتله ضحاياه بدون آلة؟

– ليس هذا فقط.

– وهل هناك شيء آخر؟

قال الحارس:

– منذ أسبوع وعندما كنت أقوم بدورية عادية فى الغابة وجدت أحد زملائى مقتولا بطريقة غريبة. قال «شريف»:

– ماذا تعنى؟!

– كانت حول عنقه آثار ثقوب خمسة كما لو أن أصابع من يد فولاذية قد التفت حولها وظلت تضغط وتضغط حتى انبثق الدم.. ومن الغريب أن زميلى كان يعمل بسيرك المدينة وكان قوى البنية طويل القامة. فلابد أن الذى قتله كان أقوى منه.

قال «شريف» فى نفسه:

– إنه صاحب «القبضة الغامضة»، ولا شك أن هذا يؤكد نظريتى أكثر وأكثر، ولكن لا بد لى من مزيد من المعلومات حتى أستطيع التيقن مما توصلت إليه.

ثم قال:

– وما العمل الذى كان صديقك يعمله بالسيرك؟

– كان يعرض فقرات القوة الفائقة ، كأن تمر سيارة فوقه أو يجرها بشعر..

وسأله « شريف » :

وهل توصلتم إلى شيء أو أى أثر تركه القاتل؟

– لقد تركنا هذا الأمر لرجال الشرطة.

قال « شريف » :

–إذن سنقوم غداً بإذن الله بزيارة لمخفر الشرطة للحصول على المزيد من المعلومات التى قد تفيدنا فى هذا الشأن.

قال « صفوان » :

– لماذا تهتم بهذا الأمر يا « شريف » .. ألا تدعه لرجال الشرطة وكفانا ما لقينا بسببه؟

قال « شريف » بهدوئه المعتاد :

– إن عندى الكثير من المعلومات التى قد تفيد فى التعرف على هذا القاتل والقبض عليه، حتى لا يقع مزيد من الضحايا الأبرياء... وأحتاج إلى مساعدتك ، فهل ستساعدنى؟

ابتسم « صفوان » وقال :

– لقد هزمتنى بالحجة يا « شريف » .. أجل أنا معك حتى نوقع

بهذا القاتل.

وفى الصباح اتجه « شريف » و« صفوان » إلى ضابط الشرطة المرافق لهما فى بعثة المحمية، وطلب منه « شريف » أن يمكّنه من قراءة التقارير الخاصة بحوادث طريق الغابة.

فقال له الضابط:

– ولكن لماذا تريد الاطلاع على أوراق تلك القضية المهمة؟

قال « شريف »:

– عندى شكوك قوية فى أمر ما، وهذه التقارير ستثبت هل شكوكى فى محلها أم لا.

قال له الضابط:

– ما رأيك أن تذهب معى إلى المفتش الموكل إليه تلك القضية ربما استطعتما معًا حل ألغازها.

قال « شريف »:

– لا مانع عندى.. ولكن ماذا عن التقارير؟

قال الضابط:

لولا أنى متأكد من حرصك على كشف غموض تلك الجرائم ما أطلعتك على تلك التقارير المهمة. وعلى كل حال ها هى صورة كاملة

من ملف القضية، وعندما تنتهى من قراءته وتكون رأيك ، نذهب إلى المفتش.

أخذ « شريف » يقرأ أوراق التقرير، الواحدة تلو الأخرى ، وبعد الاطلاع على ملابسات كل حادثة كانت دهشته تزداد حتى وصل إلى أدلة المعمل الجنائى، وبعد أن قرأها قال:

– إن القضية على هذا النحو واضحة جدًّا ولا لبس فيها، أعطنى ورقة يا « صفوان ».

أخذ « شريف » يدون عناوين الضحايا وجهات عملهم ، وينظر إلى صورة كل منهم جيدًا .

ثم قال ل« صفوان » :

– والآن هيا بنا يا صديقى.

– إلى أين يا « شريف »؟

– هناك أمر مهم سوف ننجزه قبل أن نقابل المفتش.

– ما هو؟

– نزهة قصيرة فى سيرك المدينة، حيث كان الضحية الأولى يملكه.

– وماذا سنجد فى ذلك السيرك؟

– هناك يتجمع أكثر من خيط من خيوط القضية.

شكر الضابط وتركه على وعد باللقاء صباح الغد لمقابلة المفتش.

وفى الطريق قال «صفوان» :

– لقد ذكرت يا «شريف» أنه يتجمع بالسيرك أكثر من خيط من خيوط تلك القضية ، فما هى تلك الخيوط ؟

قال «شريف» :

– الضحية الأولى طبعًا والذى كان يقود سيارته فى طريق الغابة كان عازمًا على مغادرة البلاد ومعه كل الأوراق التى تبين ذلك ثم قتل وسُرقت أمواله.. ولم يجدوا له رصيدًا فى أى بنك على الرغم من أنه كان قد باع كل ممتلكاته وصفَّى أعماله.

قال «صفوان» :

– وماذا أيضًا؟

– والرجل الذى وجد مخنوقًا هو أحد حراس الغابة، وكان مقدم فقرات سابقًا فى نفس السيرك.

– وهل هناك خيوط أخرى؟

– أجل .. فمنزل الغابة الذى كان مبنيًّا بطريقة توحى أن صاحبه كان يعمل فى نفس المجال، وهذا المنزل هو الذى احتجزنا فيه القاتل.

قال « صفوان » :

– ربما كان حارس الغابة القتيل هو الذى قام بكل تلك الأعمال، فقوته ومهنته تتفقان مع الصورة التى رسمتها للقاتل.

قال « شريف » :

– لا أعتقد ذلك .. إذن فمن الذى قتله وارتكب الجرائم الأخرى بعد مقتله.. لا بد أن القاتل مازال طليقًا.

قال « صفوان » :

– هل أنت تعتقد أن القاتل هو صاحب منزل الغابة؟

قال « شريف » :

– أظن ذلك.

قال « صفوان » :

– فلماذا إذن لا تبلغ الشرطة مادمنا توصلنا إلى مكانه؟

ابتسم « شريف » وقال:

– لأنه الآن وبالتأكيد قد هجر ذلك المكان بعد أن اكتشفناه، ثم إن الأمر ليس على هذا النحو الذى تتصوره.

وانطلق الصديقان فى طريقهما إلى المدينة حيث المبانى الحديثة

والنوادى والفنادق والمكاتب الحكومية، والأماكن الفخمة التى يقيم فيها الأثرياء ورجال الأعمال.. وكذلك المبانى العادية التى يقيم فيها أهالى تلك البلدة.

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساءً عندما بلغا مكانًا أقيمت فيه خيمة كبيرة للسيرك .

قطع الصديقان تذكرتين ودخلا .. كانت الخيمة تغصُّ بالمتفرجين من المسنين والأطفال، وكان اهتمامهم جميعًا منصبًا على ما يدور فى الحلبة بين أحد المدربين وحيواناته المفترسة،وبعد انتهاء العرض توجهت الحيوانات إلى مدخل الحلبة المؤدى إلى أقفاصها، والمدرب يتبعها بسوطه.

قال « شريف » :

– هيا يا « صفوان » نتجه خلف تلك الحلبة.

ودار الصديقان حول الحلبة ودخلا من فتحتها، وكان المكان ذا إضاءة ضعيفة فلم يريا شيئًا سوى أقفاص الحيوانات ... وبعد قليل سمعا تصفيق المشاهدين ثم صوتهم وهم يغادرون الصالة،ولم يلبث الصديقان أن سمعا حركة تأتى من فوق إحدى السقالات، وهبط رجل قصير وبدين فى بنطلون مزرقش، وكان يوليهما ظهره أثناء هبوطه، لذلك لم يرهما.

كان الرجل يضع على وجهه مساحيق المهرجين ، وعندما أكمل هبوطه واستدار أصابته دهشة عندما رأى الصديقين فى هذا المكان ثم زالت دهشته وابتسم أمامهما بطريقة مضحكة وقال :

مرحبًا بكما . . لقد انتهى العرض ، فهل من خدمة أؤديها لكما؟

قال « شريف » :

– معذرة يا سيدى نحن نريدك أنت .

انحنى الرجل مرة أخرى أكثر من المرة السابقة وازدادت ابتسامته، وقال :

– أنا فى خدمتكما ، ألستما من السائحين؟

قال « شريف » مجاملا :

– بلى فنحن من أعضاء البعثة التى تدرس إقامة محمية طبيعية للحيوانات على أرض بلادكم .

مرحبًا . . . مرحبًا

ومكث الصديقان دقيقة لا ينطق أحدهما بشىء، وبدا أن الرجل ينتظر سؤالهما أو أن يحييا وينصرفا، ولكن « شريف » ألقى إلى الرجل بسؤاله الأول محاولا ألا يوجهه بطريقة تخيف الرجل منهما فقال :

– هل تعمل هنا منذ مدة طويلة يا سيدى؟

– نعم ، منذ حوالى عشرين عامًا .

– إذن تعرف تاريخ هذا السيرك ومالكه القديم ؟

تغيرت ملامح الرجل وقال :

– نعم أعرفه جيدًا، رحمه الله!

قال « شريف » :

– وبالطبع تعرف السيد الذى كان يقوم بعرض فقرات القوة الفائقة ثم عمل بعد ذلك حارسًا بالغابة .

– نعم .

قال « شريف » :

– أريد أن أسألك سؤالا آخر .

– تفضل .

قال « شريف » :

– لقد علمت أن مالك السيرك القديم كانت تصله رسائل تهديد .

– نعم ، كان ذلك فى الفترة الأخيرة قبل مقتله .

– هل توصلتم إلى شخصية مرسل تلك لخطابات؟

ابتلع الرجل لعابه بصعوبة وقال:

– هلا تفضلتما نتناول قدحًا من الشاى؟

وافق « شريف » لكى يتمكن من البقاء مع الرجل فترة أطول.. وذهب الرجل إلى مكان مظلم وجاء ببعض المقاعد ؛ فجلسوا عليها، ثم أشعل موقدًا غازيًا ووضع الماء فوقه لكى يغلى.

وعندما أصبح الماء فى وجه الغليان ألقى فيه قليلا من الشاى وتركه حتى ينقع تمامًا ثم صبه فى ثلاثة فناجين .. كان الشاى لذيذاً خاصة أنه خلق جوًّا من المودة والألفة. ثم قال الرجل وقد استجمع شجاعته:

– هل أستطيع أن أسألك سؤالا جريئًا؟

ابتسم « شريف » وقال:

– تفضل.

قال المهرج محاولاً تغيير مجرى الحديث :

– ما سر اهتمامك بصاحب السيرك القديم ومقدم فقرات القوة الفائقة؟

رد « شريف » :

– بطبيعة الحال أنت تعرف أن الاثنين قد قتلا فى ظروف غامضة.

قال الرجل:

– أعرف .

قال « شريف »:

– إذًا ما دمت عملت معهما طوال تلك الفترة الطويلة فأنت أقدر الناس على إمدادنا بالمعلومات التى قد تفيدنا فى هذا الشأن.. فنحن نحقق فى حوادث طريق الغابة .

قال الرجل:

– لقد قلت كل ما أعرفه لرجال الشرطة الذين حضروا هنا منذ مدة.

قال « شريف »:

– ولكنك لم تجب عن سؤالى عن المرسل لخطابات التهديد؟

قال الرجل: لقد كان لصاحب السيرك أعداء كثيرون.. لقد كان خشن الطباع سيئ الخلق.

– هل كان دائم الخلاف مع العاملين معه؟

– نعم .

وهنا أطلق « شريف » سؤاله الأخير والخطير:

– هل تعرف قاهر الوحوش؟

جحظت عينا الرجل وتلعثم وقال:

– وما أدراك به؟

هدأ « شريف » من روعه عندما لاحظ ارتباكه، وقال:

– لا تخش شيئًا، فهدفنا هو منع وقوع المزيد من الحوادث للأبرياء، والآن خبِّرنى ماذا تعرف عنه.

– إنه شخص شرير كان يعمل هنا، وكان بالفعل من أبرع مدربى الحيوانات فى هذه البلدة وقد ترك العمل هنا منذ مدة.

قال « شريف »:

– ولكن أريد أن أسألك سؤالا خاصًّا.. هل كان كل من صاحب السيرك ومدربه « قاهر الوحوش » على علاقة طيبة؟

قال الرجل بذكاء:

– لقد ذكرت يا سيدى أنك تبحث فى موضوع حوادث طريق الغابة وهناك قتل الكثيرون ، فما الذى يجعلك تهتم بقاهر الوحوش وهو ليس له علاقة بتلك الحوادث؟

قال « شريف » :

– عندى إحساس أن حل لغز تلك القضية يبدأ من عنده.

قال الرجل :

– سأجيبك على الرغم من أن إجابتى لن تفيدك كثيرًا . . لقد ترك قاهر الوحوش السيرك منذ حوالى عشر سنوات ومن يومها لم يعد له علاقة بهذا المكان .

قال « شريف » :

– ولماذا ترك المكان وهو كما تقول من أبرع المدربين؟

– طرده صاحب السيرك .

– ولماذا طرده؟

– كان مدربًا قاسيًا ولم يكن نزيهًا أو أمينًا وكان مقامرًا .

– كيف ؟ أرجو توضيح هذه النقطة .

– كان يسرق بعض الحيوانات ذات الفصائل النادرة والتى كان يحصل عليها صاحب السيرك بغرض الاتجار فيها ، وبعض الأشياء الأخرى من السيرك ، فطرده صاحب السيرك . . بل إنه حذر الجميع من التعامل معه .

قال « شريف » :

– لقد عزله بذلك عن المجتمع كله .

قال الرجل :

– هذا ما حدث بالضبط . . لدرجة أنه لم يجد عملا فى أى مكان بعد ما طاردته تلك السمعة السيئة . . فقد قضى على مستقبله نهائيًا .

قال « شريف » :

– والآن سؤال أخير . . لماذا باع المالك القديم للسيرك هذا السيرك وقرر مغادرة البلدة؟ هل بسبب رسائل التهديد فقط؟

قال المهرج :

– إن صاحب تلك الرسائل قام بتنفيذ بعض تهديداته فأحرق جزءًا من خيمة السيرك . ولولا لطف الله لاحترقت خيمة السيرك بأكملها . . وعندها قرر الرجل الفرار بنفسه .

قال « شريف » :

– شكرًا يا سيدى على تلك المعلومات الجيدة التى زودتنا بها .

حيّاه المهرج وعلى وجهه علامات التعجب والخوف؛ لاعتقاده أنه لم يقل أى شىء قيّم ، ولخوفه أن يكون قد أفصح عن أشياء تعرضه هو الآخر لانتقام قاهر الوحوش .

وفى الطريق . . قال « صفوان » :

– بالله عليك يا « شريف » كيف عرفت أن هناك شخصية تُسمَّى قاهر الوحوش؟

– لقد قرأت هذا الاسم على بعض الأوراق بمنزل الغابة.. ولابد أنك لم تلاحظ ذلك لأن المنزل كان مظلمًا وكان الكشاف معى أنا .. وكذلك عندما نزعت أرجل المنضدة لأستخدمها عتلة للضغط بها على قاعدة القضبان الحديدية لنزعها رأيت مكتوبًا عليها من أسفل اسم هذا السيرك.

فأكمل «صفوان» :

– فعلمت أن قاهر الوحوش هذا ربما كان يعمل بهذا السيرك أو له علاقة به واستولى على هذه المنضدة منه .. ملحوظة جيدة ومفيدة يا صديقى.

وأضاف «شريف» :

– كما أن السلسلة التى ربطت بها اليد المقطوعة كان محفورًا عليها اسم السيرك.. لذلك وجهت سؤالى المفاجئ للمهرج لأتأكد من ظنونى تلك فأقر بوجود تلك الشخصية وأعطانا نبذة مفيدة عنها.

قال «صفوان» : تعتقد أن «قاهر الوحوش» هذا هو القاتل ؟

قال «شريف» :

– لا بد من أدلة أكيدة لتوجيه مثل هذا الاتهام ولا نأخذ الناس بالشبهات كما علمنا ديننا الإسلامى الحنيف.

قال «صفوان» :

– عندك حق يا « شريف » فعلى الرغم من أنه توجد أشياء يعرفها الشخص بإحساسه ، فإنها لا تصلح للإدانة مالم تقترن بأدلة قوية .

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية صباحًا عندما رجع الصديقان إلى الفندق، وتوجه كل منهما إلى حجرته على وعد باللقاء صباح الغد لزيارة المفتش الذى يحقق فى تلك الحوادث .

وفى صباح اليوم التالى :

كان « صفوان » و« شريف » وضابط الشرطة المرافق للبعثة فى مكتب المفتش الذى يبحث تلك القضية . . وكان يجلس إلى مكتبه واضعًا قدمًا على الأخرى ويتحدث فى الهاتف .

قال الضابط :

– أقدم لكما سيادة المفتش .

ثم أشار إلى « شريف » و« صفوان » قائلا : السيد « شريف » فهمى والسيد « صفوان » من الأعضاء البارزين فى بعثة إنشاء المحمية على أرض بلادنا .

فأشار المفتش إليهما بالجلوس، وأكمل مكالمته .وبعد الانتهاء من المكالمة قال لهما :

– مرحبًا بكما .

قال الضابط :

– وقد جاء السيد « شريف » ليناقش معك وجهة نظرة فى قضية طريق الغابة وما حدث فيه فى الفترة الأخيرة .

تعجب المفتش وقال بنبرة تهكم :

– معذرة، كنت أظنهما قد حضرا لغرض آخر .

قال « شريف » :

– إن هدف إقامة المحمية له ارتباط وثيق بتلك الحوادث .

استمع المفتش بلا اهتمام وقال باستخفاف :

– كيف ؟

قال « شريف » وقد تمالك نفسه :

– إن الاثنين لهما علاقة بالرفق بالحيوان .

قال المفتش :

– أية علاقة تلك التى تقصدها يا سيد « شريف » ؟

قال « شريف » :

– سأشرح لك يا سيدى المفتش .. قد يبدو حديثى بعيداً كل البعد عن حوادث طريق الغابة التى يبحث فيها، ولكنى أجده شديد

الصلة بها ، فالقضيتان من وجهة نظرى لهما جذور واحدة .

وبدأ « شريف » يشرح وجهة نظره، فقال :

– لقد كنت أنا وصديقى « صفوان » فى طريقنا إلى عملنا منذ يومين عندما شاهدنا إحدى حوادث طريق الغابة، فوقفنا ونظرت فى سيارة الضحية، فلاحظت شيئًا أثار انتباهى .

قال المفتش :

– وما هو؟

– رأيت أن القاتل سرق كيسًا من الطعام حيث تساقطت أجزاء منه اثناء هروبه، ولم يسرق مال ضحيته طبعًا، هذا بخلاف الحوادث الأولى ، وهى التى استولى فيها القاتل على أموال ضحيته .

– ملحوظة مهمة يا سيد « شريف »، وهى تحيرنا، إذ تجعلنا نتساءل لماذا إذن يقطع ذلك القاتل الطريق ويقتل أناسًا لا يعرفهم وليس بينهم وبينه أية علاقة، وفى نفس الوقت يستولى على أموال بعضهم ولا يستولى على أموال الآخرين إلا إذا كان مجنونًا أو سفاحًا متعطشًا للدماء أو حاقدًا على المجتمع؟

أكمل « شريف » :

– فى الحقيقة كان ذلك يا سيدى هو بداية الخيط الذى شدنى إلى هذه القضية، قاتل يقتل ليأكل فقط أحيانًا .

قال المفتش وقد زاد اهتمامه بحديث « شريف » :

– وما هى الملحوظة الثانية يا سيد « شريف »؟

– الملحوظة الثانية هى أن القاتل أعزل .

قال المفتش :

– نعم، فجميع الجرائم وقعت بدون استخدام سلاح، وهذا يدل على أن القاتل إما أنه لا يعرف كيف يستخدم السلاح وإما أنه لا يملكه وإما أنه ليس فى حاجة إليه لا ستخدامه قوته البدنية الفائقة .

صمت « شريف » قليلا ثم قال :

– لكنى رجحت الاحتمال الأول وهو أنه لا يعرف كيف يستخدم السلاح؛ إذ وجدنا فى بيته الذى كان بالقرب منه بقايا الطعام المسروق نفسه وأسلحة كثيرة متناثرة فى أرجاء المكان وهذا ما حيرنى، فكيف يملك تلك الأسلحة ولا يستخدمها . قال المفتش مبهورًا بطريقة « شريف » فى التفكير :

– إنك تَغوص فى أعماق القضية يا سيد « شريف » وتحلل شخصية القاتل، ولك ملاحظات مهمة جدًّا . . أكمل .

قال « شريف » :

أما الملحوظة الثالثة فهى القوة البدنية للقاتل، فهو طويل القامة

قوى البنية.

– وكيف استطعت التوصل إلى هذا الوصف الدقيق له يا سيد « شريف »؟ فربما كان قويًا ولكنه ليس طويلا.

قال « شريف »:

– رأيت خصلة من شعره قد التصقت بأحد الفروع العالية عند مرورى من تحتها يوم الحادث. وهذا يعطينا مقياسًا دقيقًا لطول قامته. أما الملحوظة الرابعة فهى ثقل وزنه ، فقد داس بقدمه على بعض أوراق الشجر فغاصت لمسافة كبيرة، وهذا يدل على ثقل جسمه ، وإن لم يترك أثرًا لقدمه.

هز المفتش رأسه وأمسك بقلمه وبدأ يخط به على مكتبه.

أكمل « شريف »:

– وقد لفت انتباهى تقرير المعمل الجنائى الذى أشار إلى ملحوظة مهمة، وهى أن القاتل دائمًا يستخدم يدًا واحدة ويترك دائمًا آثار شعيرات على رأس الضحية. وقد فسرها كاتب التقرير بأن القاتل يرجح أنه كان يرتدى معطفًا من الفرو ذى الأصل الحيوانى ، وهذا ما استبعدته تمامًا.

– وماذا ترجح أنت يا سيد « شريف »؟

– أرى أن القاتل لا يمكن أن يلبس معطفًا أثناء ذهابه لارتكاب

جريمته.

قال المفتش:

– إذن فما هو مصدر تلك الشعيرات ؟

– إنها من يد القاتل نفسه، وأظنه بيد واحدة لو كانت تلك اليد المقطوعة التى وجدناها هى يده الأخرى.

أصابت الدهشة كل الجالسين وقال المفتش:

– وأين وجدت تلك اليد؟

– فى منزل الغابة وكانت مسلوخة وجففت فى الشمس، وكانت معلّقة على الحائط بسلسلة قوية من الحديد.

قال الضابط:

– وهل يعلّق إنسان يده على الحائط إذا قطعت منه؟

– سأجيب عن هذا السؤال بعد قليل – سيدى الضابط– ولكن أود أن أشير إلى أننى عندما اقتربت من تلك اليد اكتشفت حقيقة وبنيت عليها كل استنتاجاتى.

قال المفتش:

– تقصد أنك توصلت إلى القاتل؟

– نعم .

– من هو؟

قال « شريف » مفجرًا مفاجأة :

– إن القاتل ليس رجلا يا سيدى كما يعتقد الجميع .

ضحك المفتش وقال :

– هل بعد كل تلك الملحوظات الذكية توصلت إلى أن القاتل سيدة؟ إنك تمزح ولا شك يا سيد « شريف » . سيدة وفى يدها كل هذا الشعر الكثيف؟!

– لا سيدى المفتش ، ليست سيدة، وأنا لم أذكر أنها سيدة .

قال المفتش :

– وهل هناك فى البشر جنس ثالث غير الرجال والنساء؟

– إنه ليس من البشر سيدى المفتش .

– إذن من يكون؟

– إنه حيوان .. غوريلا ضخمة هذا ما عرفته من الصفات التشريحية ليده .

ضحك المفتش حتى مال إلى الخلف ثم سكت وكأن المفاجأة قد ألجمته، ونظر نظرة فاحصة إلى « شريف »، وقال وقد بدا معجبًا

بذكائه:

– ولكن كيف توصلت إلى ذلك القاتل؟ وما هى أدلتك التى أقمت عليها حجتك؟

صمت الجميع وبدأ «شريف» يروى كيف توصل إلى الحقيقة فقال:

إن القصة كما أتصورها وحسب ترتيب المعلومات التى حصلت عليها وقعت طبقًا للتسلسل الآتى:

منذ حوالى عشر سنوات – طبقًا لرواية المهرج الذى قابلناه فى السيرك– كان هناك مدرب يلقب نفسه«قاهر الوحوش»، وكان من أبرع المدربين فى هذا المجال، ولكنه لم يكن أمينًا، فقد كان يستولى على أشياء من السيرك ويبيعها ليغطى منها دائمًا خسارته الناتجة عن إدمانه للميسر.

وقد سرق غوريلا صغيرة من السيرك الذى كان يعمل فيه والتى كان صاحب السيرك يتاجر فيها، وكان نوعها نادرًا من حيث الحجم والسلوك، فمن المعلوم أن حيوان الغوريلا هادئ الطباع فى حين كانت تلك من نوع شرس صعب الترويض. بينما كانت الفصائل المختلفة للغوريلات ذات حجم عادى، كانت تلك ضخمة بصورة ملحوظة. وبعد استيلائه على ذلك الحيوان والذى ولد فى أحد أقفاص السيرك ادعى لصاحب السيرك أن المولود قد مات، وأنه تخلص منه. وبالطبع

لم يصدقه صاحب السيرك، وطرده . ومن هنا بدأت العداوة بينهما .

قال الضابط : ومن أين حصلت على تلك المعلومات يا سيد « شريف » ؟

– من سجلات السيرك نفسه بعد الاتصال بمالكه الجديد، وهو من الرجال المؤيدين لفكرة إقامة المحمية الطبيعية التى نحن بصدد إنشائها .

قال المفتش :

– أكمل يا سيد « شريف » :

– وعكف الرجل فى منزل الغابة ودرَّب تلك الغوريلا على أساليب السطو منذ صغرها، وظل كذلك حتى كبرت وصارت عملاقة فى حجم فصيلتها النادرة .

دخل أحد السعاة ووضع أمام ضيوف المفتش أكوابًا من الشاى . تناول « شريف » كوبًا وأخذ منه رشفة صغيرة، ثم أكمل قائلا :

– وأتصور أنه نظرًا لضخامة الغوريلا ، وصعوبة السيطرة عليها غافلها الرجل وقطع إحدى يديها بقسوة؛ حتى يوقع الخوف فى قلبها، وعلق تلك اليد فى سلسلة حتى ينزل الرعب فى قلب الغوريلا الضخمة كلما نظرت إليها .

كان المفتش يستمع باهتمام بالغ إلى تحليل « شريف » . . . استطرد

« شريف » قائلا :

– ولكن هذا الحادث ولَّد فى نفس الغوريلا حقداً على بنى البشر، ولكن خوفها من سيدها جعلها تطيع أوامره.. وكان سيدها هو الآخر يخشاها ويخشى غدرها به فكان يحتفظ فى كل أنحاء المنزل بمسدس محشو بالرصاص لمواجهتها إذا أقدمت على الانتقام منه.

كانت عينا « صفوان » متسعتين فى ذهول من ذكاء صديقه وإن كان يعلم أن ذلك ليس بغريب عليه.

أخذ « شريف » رشفة من كوب الشاى، ثم استطرد قائلاً :

– وهنا بدأ الرجل تنفيذ خطة الانتقام، فأرسل رسائل تهديد إلى صاحب السيرك وأحرق جزءًا من خيمته حتى أجبره على بيع السيرك، وانتظره على الطريق الذى طالما استعمله وقتلته الغوريلا بضربة فوق رأسه وسرق الرجل أمواله.

قال « صفوان » :

– ترى كيف استطاع ذلك المدرب معرفة موعد مغادرة صاحب السيرك للبلاد وطريقه الذى سيسلكه؟ بل وكيف استطاع إيقاع سيارته فى هذا المكان بالذات لتتم الجريمة بهذا الشكل؟

قال « شريف » :

– إن ذلك المدرب– كما أعتقد – كان على علم بكل أحوال

صاحب السيرك وخطته فى الهرب عن طريق مراقبته بواسطة أحد المقربين إليه، وبذلك عرف موعد سفره وطريقه.. أما كيف استطاع إيقافه فى المكان الذى يريده فأنا أعتقد أن ذلك تم بطريقتين.

– وما هما يا« شريف »؟

– ألا تتذكر ما وجدناه بمنزل الغابة.. كان هناك دمية بحجم إنسان ربما كان يُستخدَم فى التدريب وأعتقد أنه استعان بها فى خداع الرجل ليوقفه، فقد وجد فى مكان الحادث آثارفرامل على الطريق مما يدل على التوقف المفاجئ، وهناك وسيلة أخرى حيث ذكر تقرير المعمل الجنائى وجود ثقوب ناتجة عن مسامير ألقيت على الطريق.

قال المفتش:

– استنتاجاتك منطقية يا « شريف ».. ولكن سأحتفظ بملاحظاتى جميعًا على استنتاجاتك حتى تنتهى من شرح كل تصوراتك.

أكمل « شريف » :

– ويبدو أن الغوريلا الضخمة قد استطاعت بطريقة ما الفرار من مدربها . وبذلك صارت قوة غاشمة حاقدة على بنى البشر لا يحكمها عقل بعد أن أفقدها المدرب عقلها.

قال المفتش:

– وصارت تكرر الجرائم كما تعلمتها مع فارق واحد ، وهو أنها لم تكن تسرق الأموال فهى لا تعنى شيئًا بالنسبة إليها .

ثم أضاف المفتش باستخفاف :

إنها قصة مدهشة يا سيد « شريف » تصلح لعمل سينمائى، ولكنها لا يمكن أن تتم فى الحياة . ولقد نسيت شيئًا مهمًّا سيقلب كل استنتاجاتك رأسًا على عقب .

قال « شريف » :

– وما هو ؟

قال المفتش :

– على الرغم من عدم وجود آثار أقدام فى أماكن الحوادث فإن الحادث الأخير فقط كان فيه أثر لقدم متوغلة فى أوراق الأشجار الساقطة على الأرض، على الرغم من أنها لم تكن من الوضوح بحيث تدلنا على شىء . ولكن على كل حال لم تكن الغوريلا حافية القدمين . . مما يؤكد أن القاتل إنسان وليس حيوانًا .

قال « شريف » وهو يبتسم :

وهذا يؤكد نظريتى .

قال المفتش :

– كيف.

قال « شريف »:

– أما سبب عدم وجود آثار أقدام على الأرض فذلك لأن الغوريلا مثل جميع فصائل القرود تجيد التنقل فوق الأشجار.. وأما عن الأثر الأخير فقد نسيت أن أذكر لكم أن تلك الغوريلا ربما ترتدى خفًّا فى قدمها صنعه لها مدربها لإخفاء أثرها بعد ارتكاب جرائمها، خاصة أننا وجدنا شيئًا يشبه الخف فى منزل الغابة ، وكان حجمه يدل على أنه لقدم أكبر بكثير من قدم الإنسان.

قال الضابط:

– غوريلا تلبس خفًّا فى قدميها؟! إنها قضية عجيبة.

صمت « شريف » لحظة ثم قال مختتمًا حديثه:

– أرأيت سيدى المفتش العلاقة التى تربط إقامة المحمية بتلك الحوادث.. فذلك الحيوان الذى عومل بقسوة انقلب على بنى البشر جميعًا ؛فسقط الكثير من الضحايا الأبرياء.. إننا نريد حماية الحيوان من قسوة الإنسان وجشعه وطمعه فى جلودها وعاجها .. إن الإنسان الآن أصبح يملك أسلحة فتاكة ورغبة جامحة فى القتل.. لقد بغى وصار يدمر بيئته وكوكبه الذى يعيش فوقه دون أن يدرى أنه بذلك يحدث خللاً بالتوازن الطبيعى فى الأرض بما سيعود عليه بالضرر

مستقبلاً.

قال «صفوان»:

– عندك كل الحق يا «شريف»:

كان المفتش صامتًا شاردًا. وبعد أن انتهى «شريف» من حديثه قال له:

– والآن دعنى أبدى رأيى فى تحليلك للقضية يا سيد «شريف».

صمت «شريف» فى أدب ليستمع إلى وجهة النظر الأخرى التى قد تكون معارضة له.. قال المفتش:

– أولاً أنا لا أوافقك على أن مرتكب تلك الجرائم غوريلا مقطوعة اليد بل لا أوافقك أصلاً على وجود تلك الغوريلا.

ساد الغرفة صمت كامل:

وأكمل المفتش:

– أما سبب اقتناعى أن مرتكب تلك الجرائم هو إنسان سفاح فذلك بنى على أساس وجود أشياء فى أماكن الحادث تدل على وجود شخص غير الضحية فى مكان الحادث، وإلا فبماذا تبرر سرقة بعض الأموال؟ أنت تعتقد أن السرقة تمت عندما كانت الغوريلا تعمل لحساب مدربها وعندما فرت منه صارت تسرق الطعام فقط لتأكل.

وأنا أعتقد أن هذا التبرير والإثبات فى ظل ما لدينا من أشياء رفعناها من مكان الحادث غير مقبول.

أخذ المفتش نفسًا عميقًا ثم قال :

– ولو افترضنا جدلا أنه توجد غوريلا شرسة مقطوعة اليد، فهذا أيضًا تبرير مردود عليه، إذ كيف تستطيع غوريلا التنقل أو التسلق بيد واحدة، خاصة إذا كانت من ذلك النوع الضخم الذى تتحدث عنه ؟

تبادل « صفوان » و« شريف » النظرات ؛ لأن الكلام كان يبدو منطقيًّا. أكمل المفتش:

– أما عن آثار الأقدام فقد قدمت يا سيد « شريف » وجهة نظر متعارضة فى هذا المجال.

قال « شريف »:

– كيف؟

قال المفتش:

– لقد قلت إن عدم وجود آثار يرجع إلى أن الغوريلا تنتقل عن طريق الأشجار ثم عدت فقلت إن الأثر الوحيد الذى عثرنا عليه هو للغوريلا لابسة خفًّا صنعه لها المدرب. وهذان الاستنتاجان لا يستقيمان مع بعضهما؛ لأن الغوريلا لو لبست خفًّا لما استطاعت التسلق؛ لأنها تستخدم أصابع قدميها فى القبض على الجذوع عند

صعودها.

قال « شريف » :

– إنها قضية تتحدى قدراتنا ومهارتنا . وعندما نميط عنها اللثام سنعرف الحقيقة بالكامل، وأنا أعتقد سيدى المفتش أن هذه القضية بملابساتها قضية غير تقليدية، وعلينا أن نتخلى عن الطرق والنظريات التقليدية فى التعامل معها.

وعندما رأى المفتش إصرار « شريف » وثقته فى وجهة نظره قال:

– على كل حال يا سيد « شريف » سوف أعطيك الفرصة لإثبات وجهة نظرك ، وبما لك من خبرة فى سلوك تلك الحيوانات التى تدعى أنها تنفذ جرائم بمفردها فأنا أريدك أن تضع لنا خطة للإيقاع بها . وبطبيعة الحال ستكون خطتك خالية من القتل .

ابتسم « شريف » وقال فى ثقة:

ستكون خطة جيدة بإذن الله تمثل الصراع بين ذكاء الإنسان وقوة الحيوان.. وعندى خطة بسيطة سأعرضها عليك غدًا – إن شاء الله – والآن هل تأذن لنا بالانصراف؟

– تصحبكما السلامة.

* * *

٤ - الخطة

وفى غرفتهما بالفندق جلس الصديقان يتدارسان الموقف من جوانبه المختلفة.

قال « شريف » :

– ما تصورك الآن لذلك الوحش يا « صفوان » ؟

قال « صفوان » :

– ما أتخيله إلا عملاقًا أسود شرسًا ذا أنياب حادة ويد قوية.. وأظنه الآن جالسًا على قمة إحدى الأشجار ينقل بصره فيما حوله منتظرًا ضحيته التالية.

قال « شريف » :

– تقصد منتظرًا من يأتى حاملا طعامًا.. فإن هذه المنطقة ليس فيها أشجار مثمرة ولا طعام يناسبه.. إذ إن هذه المنطقة ليس هى موطنه الأصلى، وإنما نقل إليها مع مدربه . ولو وضعنا بجانب ذلك اعتبارًا آخر وهو ضخامته؛ فسنعلم أن حصوله على الطعام من الطبيعة وحدها لا

يفى باحتياجاته.

قال « صفوان » :

– إذن هذا يفسر رغبته الملحة فى الحصول على الطعام من سيارات ضحاياه المسافرين فى هذا الطريق حاملين معهم ما لذ وطاب.

– نعم يا « صفوان » ، وأنا أتصور أن مدربه كان يأتى له بالطعام، أما الآن فلم يدر من أين يحصل على الطعام إلا بهذا الطريق بعد أن وقع فى مصيدة الجوع.

قال « صفوان » :

– لكن أين ذهب مدربه نفسه.. ولماذا لم يبلغ السلطات إذا كان هذا الحيوان قد هرب منه أو أنه يشكل خطرًا بهروبه هذا؟

قال « شريف » :

– ربما حدث له مكروه، على كل حال لن نستطيع الإجابة عن هذا السؤال الآن، وسوف تأتى لنا الأيام القادمة بالإجابة بإذن الله، إن كان حيًّا ولا يستطيع أن يلجأ إلى البوليس بعد كل تلك الجرائم ، أم أنه ليس موجودًا على الإطلاق.

قال « صفوان » :

– وما الذى نفعله الآن؟

قال شريف :

– على كل حال سنبنى خطتنا على أساس الإيقاع بتلك الغوريلا عن طريق مصيدة الطعام.

قال « صفوان » :

– كيف ؟

– سوف نطلب من المفتش منع المرور نهائيًّا من طريق الغابة كله ليلاً ونهارًا إلا من سيارة واحدة مصفحة، تلقى بالطعام والماء عند بعض الأماكن التى يعتقد أنها تتردد عليها.. وتُنصب فى هذه الأماكن كاميرات تصور ما يدور وتنقله إلينا.

– وماذا سنفعل بعد ذلك؟

– سنجعلها تعتاد أولاً تناول طعامنا الشهى، ونراقبها ونحدد مكانها على ذلك الطريق الطويل، وبعد ذلك سيكون من السهل الإيقاع بها.

قال « صفوان » :

– لماذا لا نضع لها فى الطعام مخدرًا وعندما تتناوله تخر مغشيًّا عليها؟

قال « شريف » :

– ولو وضعنا لها مخدرًا فلن نستطيع الإمساك بها ؛ لأنها لا تتناول الطعام حيث تجده، وإنما تحمله معها إلى مكان بعيد ثم تبدأ فى تناوله، كما أن المخدر سوف يسبب خطورة على حياة الغوريلا إذا تناولت الطعام المخدر فوق إحدى الأشجار فتسقط ميتة.

وعرض « شريف » فكرته على المفتش فوافق.. وتم منع مرور السيارات ليلاً ونهارًا من طريق الغابة.. وتم وضع الطعام فى نقاط متباعدة عن الطريق وبُثت كاميرات التصوير، وكانت غرفة المراقبة فى مكان تلك الكمائن.. غير أنها لم ترصد أى وجود لذلك الحيوان العملاق أو لغيره.

قال « صفوان » :

– هل تظن يا « شريف » أن خطتك قد فشلت؟

رد « شريف » بثقة :

– على العكس يا « صفوان »، وإنما الأمر يحتاج إلى بعض الصبر . . ولا تنس أن هذا النوع يتميز بنسبة ذكاء عالية . .

وعندما يستبد به الجوع سيظهر لا محالة .

ومرت الساعات ولا أثر لشيء .

قال المفتش موجهًا حديثه إلى « شريف » :

– أما زلت متأكدًا أن القاتل غوريلا ضخمة وليس إنسانًا ؟

– بكل تأكيد يا سيدى .

– إذن لماذا لم تظهر حتى الآن ؟

– لعلها موجودة الآن فى أحد هذه الأماكن تراقبها قبل الاقتراب ، أو ربما وقعنا نحن فى خطأ ما جعلها تخشى الاقتراب من طعامنا، أو لعلها اكتشفت أماكن إحدى الكاميرات ففضلت الابتعاد عن مكان تلك الآلات الغريبة .

قال أحد الفنيين :

– لقد نفذنا الخطة بالضبط كما وُضِعت وأخفينا الكاميرات بإحكام فوق الأشجار.

وفجأة أظلمت إحدى الشاشات .. وقفز « شريف » من مكانه وقال:

– انظروا، لقد أظلمت إحداها.

قال « صفوان » :

– لا بد أنها وقفت أمامها مباشرة.

وبعد لحظات .. أخذت الشاشة تنقل صورًا سريعة لأعلى ولأسفل.

قال « شريف » :

– لقد اكتشفت مكان الكاميرا، وها هى تعبث بها، ولو حركتها ناحيتها لرأيناها وتأكدت ظنوننا.

وفجأة ظهرت أسنان وأنياب تملأ الشاشة.

قال المفتش :

– ما هذا !! لابد أنه كائن ضخم.

قال « شريف » :

– لا بأس.. لقد عرفنا موقعه بالتقريب الآن .. وسنظل نضع الطعام بانتظام فى هذا المكان ونعيد تثبيت الكاميرا.

وفي اليوم التالى أمر « شريف » بإزالة الطعام من جميع الأماكن عدا هذا المكان، وفعل الرجال ما أمرهم به ، وأعادوا تثبيت الكاميرا فى مكان آخر.

ولكن فى هذا اليوم لم يظهر الوحش.. بل وأكثر من ذلك اختفت الكاميرا، ومن بعدها اختفى الطعام قال « شريف » :

– لا بد أنها تراقبنا كما نراقبها.. ولكن الغريب أنها أذكى بكثير مما كنت أتوقع، ولا بد أن نجعل الأمر يبدو طبيعيًّا أكثر من هذا . سنغير الخطة قليلاً.

قال « صفوان » :

– وماذا سنفعل؟

سأتوجه بالسيارة إلى طريق الغابة وأنت معى، ونحاول تمثيل الدور بدقة أكثر.

– سنكون مزودين بمسدس مخدر، وسوف نصيبها إن شاء الله .

وأثناء الليل .. انطلق « شريف » و« صفوان » فى طريق الغابة ووضعا فوق سيارتهما كمية من الطعام . وبعد مسافة كبيرة قال « صفوان » :

– أعتقد أننا وصلنا الآن إلى المنطقة المطلوبة.

قال « شريف » :

– إذن كن يقظًا.

وما هى إلا لحظات .. حتى سقط جذع كبير فقطع الطريق أمام السيارة، وبسرعة ضغط « شريف » على الفرامل فأحدثت العجلات صريرًا عاليًا وتوقفت قبله تمامًا.. قال « شريف » :

– إنها قريبة جدًّا منا جهز سلاحك.. سننزل الآن من السيارة.

وفى جزء من الثانية .. هبط كالصاعقة من أعلى إحدى الأشجار

شيء ضخم أسود وهو يزمجر.. استدار «شريف» بسرعة فإذا به يجد نفسه أمام عملاق أسود فاغرًا فاه مظهرًا أنيابه، ينطلق من عينيه الضيقتين الشرر، ورفع يده ليهوى بها على رأس «شريف» .. ولكن «صفوان» عاجله بطلقة مخدرة، أسرع «شريف» من أمامه محاولاً الابتعاد عن قبضته التى هوت جانبه تمامًا.

وشعرت الغوريلا الضخمة بالمخدر يسرى فى جسدها فاستدارت وحاولت القفز إلى إحدى الأشجار، ولكنها سقطت.. فأسرعت مهرولة داخل الغابة، وهى تطلق صيحات تخلع القلوب، وكانت أشبه بمن ينادى على أحد.. قال «شريف»:

إن جرعة المخدر التى أطلقت عليها تخدر فيلاً .. هيا بنا خلفها قبل أن نفقد أثرها.

كان «صفوان» قد وضع فى مسدسه طلقة مخدرة أخرى وانطلق مع «شريف» خلف الغوريلا .. كان الحيوان الضخم يجرى وهو يعرج ويحطم الأغصان التى فى طريقه بيده، وزمجرته قد قطعت سكون الليل، وفجأة عندما أيقنت الغوريلا أنهم خلفها توقفت وأمسكت

بأحد الفروع الكبيرة واستدارت ناحية الصديقين اللذين وقفا مذهولين.. وصوب «صفوان» مسدسه ناحية الصوت الذى بدا أكثر شراسة وأطلقها.. وبدأ الصوت يهدأ وسمع الصديقان صوت تكسير الأغصان نتيجة سقوط الغوريلا على الأرض.

وجّه «شريف» كشافه ناحية ذلك العملاق الراقد على الأرض .. ثم وجه حديثه إلى «صفوان» قائلا:

– أحسنت يا صديقى.. إصابة بارعة.. اتصل باللاسلكى برجال الشرطة الرابضين فى الطريق ليلحقوا بنا..

وأثناء ذلك توجه «شريف» ناحية الغوريلا الضخمة والتى بدت كطفل ضخم وهى مخدرة، قلَّبها «شريف» بصعوبة فإذا بذراعيها القويتين فى أحسن حال ، ولكن جسدها مليء بالحروق . نظر «شريف» متعجبًا وقال:

– مستحيل!!

قال «صفوان»:

– ماذا حدث يا«شريف»؟

صمت « شريف » ووضع يده على جبهته وما هى إلا بضع دقائق حتى كان المكان مكتظًّا بالرجال والسيارات وتم وضع الغوريلا على محفة كبيرة، حملها الرجال ووضعوها فى السيارة. مال المفتش على « شريف » وقال له:

– لا بأس يا سيد « شريف » فكثيرًا ما تصاب حواسنا بالعطب . . وقبل أن ينتهى المفتش من كلمته سمع الجميع صوت طلقة رصاص تدوى فى الغابة. .

قال « شريف » :

إن مصدر الصوت من هذا الاتجاه.

وأسرع الصديقان والمفتش ناحية الصوت ، وكلما اقتربوا سمعوا صوتًا يزمجر بشدة ويصيح. . شهر المفتش مسدسه وتقدم ببطء حتى وصل إلى مكان متسع وفوجئوا بغوريلا أكبر من سابقتها تضرب صدرها بيدها محدثة ضوضاء كقرع الطبول ،وكشفت فى الوقت نفسه عن أسنانها مزمجرة بصورة مرعبة،كان جلد الوجه شبيهًا بالجلد الأسود، انتصب الشعر المغطى للوجه ليكون عرفًا عاليًا ، وتصيح وقد

جلست فوق جسد رجل لا يتحرك ، ثم وقفت على أطرافها الأمامية وضربت الأرض بيديها .

قال « شريف » لصفوان :

– هل معك طلقة مخدرة أخرى؟

– نعم ، الأخيرة .

– أطلقها على هذه الغوريلا ربما تمكنا من إنقاذ الرجل .

تنبهت الغوريلا إلى وجود الصديقين والمفتش فالتفتت إليهم وقد امتلأت غضبًا . . قال « شريف » :

– إن الغوريلا هادئة الطباع إلا إذا تعرضت لإثارة شديدة ترى ما الذى جعلها تصل إلى هذه الدرجة من الهياج؟

وأطلق « صفوان » طلقته الأخيرة فأصابتها فى كتفها، توجهت إليهم الغوريلا الضخمة وهى تصيح فى غضب، قال « شريف » :

– هيا بنا نبتعد من أمامها إلى أن يسرى المخدر فى جسدها .

قال المفتش :

– إنها شرسة جدًّا وعندها رغبة جامحة فى القتل.

وانطلقوا وخلفهم الغوريلا.. وبعد قليل سقطت الغويلا بعد أن سرى المخدر فى جسدها وتوجه الجميع ناحيتها ، وكم كانت دهشتهم جميعًا عندما شاهدوا هذا الحيوان الضخم مقطوع اليد.. نظر المفتش بذهول إلى « شريف » وتوجها ناحية الرجل فوجداه قد أمسك المسدس بيده، ورقبته قد انبثق الدم منها وقد تدلى لسانه، وازرقّ وجهه، وفارق الحياة.. قال « صفوان » :

– إن الأمر قد وضح الآن.. قاتل واثنان من الغوريلا !

قال « شريف » :

– لقد سرق قاهر الوحوش توأمًا وليس واحدة .

قال « صفوان » :

– هذا القتيل هو قاهر الوحوش.

رد المفتش :

– سوف نتأكد من ذلك فيما بعد.

ثم نظر إلى « شريف » وقال :

– يبدو أن نظريتك قد صح جزء كبير منها .

قال « شريف » :

– نعم ، وقد ظهرت الآن حقائق أخرى كانت خافية علينا .

– وما هى ؟

– إن الغوريلا الأولى أنثى ، وهذا الراقد أمامنا هو الذكر ،وهذا هو الخف فى قدمه .

توجه « شريف » وأزال الخف من حول قدم الغوريلا وقال :

– اتضح الآن كل شىء .. انظروا إلى قدمها .

وعندما نظر الجميع إلى قدم الغوريلا أصابتهم الدهشة .

قال « صفوان » :

– يا إلهى ما هذا؟

قال « شريف » :

– إنها آثار حروق نتيجة وقوف هذا الحيوان على سطح ساخن، إنها إحدى طرق التعذيب التى مارسها ذلك المدرب معها لإرهابها.

قال « صفوان » :

– إذن الخف كان لحماية تلك القدم المصابة وليس لإخفاء الأثر.

قال « شريف » :

– الاثنان معًا.

ظهرت على وجه المفتش علامات الخجل من نفسه؛ لأنه حاول الاستهزاء من « شريف » فيما مضى فقال له :

– ما هو تصورك الآن لكيفية وقوع تلك الجرائم يا سيد « شريف ».

قال « شريف » :

– فى الحقيقة كان بعض النقاط التى حيرتنى فى هذه القضية، هي كمية الدهاء والتخطيط الذى لا يمكن أن يتوافر لدى أى حيوان .. ولكن الآن وبعد عثورنا على هذا القتيل عرفت أنه هو العقل المدبر

لتلك الجرائم وكانت أداته هى الغوريلاتين.. فهو الذى أغلق علينا منزل الغابة، وهو الذى سرق الكاميرات ودبر للجرائم.

قال المفتش:

– نعم فهذا المدرب أراد أن يجعلنا نظن أن الغوريلا هى المسئولة وحدها عن تلك الحوادث.

قال «صفوان»

– إنه لص جشع، استخدم ذكاءه ومهارته فى طريق الشر، فعذب بالنار، وقطع الأيدى، وسرق، وقتل الأبرياء... إلخ ولكن ترى لماذا كان يترك البعض بدون سرقة؟

قال «شريف»:

– حتى يضللنا، أما سرقة الطعام فقد وجدت لها تبريرًا آخر الآن يا «صفوان»، وهو أن ذلك المدرب لم يكن ليستطيع أن يوفر الطعام الكافى لهذين العملاقين فكانا دائمًا يبحثان عن الطعام.

– وأين الأموال التى سرقها؟

– هذا ما سوف نحاول أن نعرفه.

وفى مكتب المفتش فى صباح اليوم التالى سأل المفتش «شريفًا» عندما كان يعد تقريره عن الحادث:

– ماذا ستكتب عن مقتل قاهر الوحوش؟

– أعتقد أن المدرب دفع بالأنثى لتقضى علينا وعندما أصبناها ظن الذكر أنها قتلت فهاج على مدربه وطرحه أرضًا، وخنقه بعد أن أخطأته رصاصة المدرب.

قال «صفوان»: يا لها من قضية تم فيها اكتشاف المجرم رغم أنه أعد خطة معقدة شديدة الإحكام.

قال المفتش شاكرًا الصديقين:

– إنها أعجب قضية عملت فيها طوال حياتى، ولولا فضل الله ثم شجاعة هذين البطلين ما اكتشفنا سرها حتى الآن.

ونظر إليهما فى إعجاب، وقال:

– أهنئك يا «شريف» أنت وصديقك على نجاحكما.

قال « شريف » :

– الحمد لله أولا وآخرًا .

ثم نظر إلى « صفوان » وقال :

– والآن هيا بنا نكمل عملنا فى تجهيز الدراسات الخاصة بإنشاء المحمية، لقد ازددت الآن اقتناعًا بأهمية تلك المحمية .

قال « صفوان » :

– نعم يا صديقى فها هى قسوة الإنسان على الحيوان قد انقلبت عليه ولم تقتصر على فاعلها، بل على الكثير من الأبرياء . .

– الحمد لله الذى وفقنا فى هذه العملية . . بالمناسبة سيتم اليوم نقل الغوريلاتين إلى إحدى المحميات فى موطنهما الأصلى حيث تنطلقان تعيشان هناك فلا ذنب عليهما .

* * *